﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ [الأعراف: 130]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العَلاقةُ بين ظُلْمِ آل فرعونَ، وجَريانِ سُنّةِ اللهِ باسْتِدراجِهم للهلاكِ الماحقِ

الآية شروعٌ في تفصيلِ مبادي الهلاكِ الموعودِ لفرعونَ وقومِه، وإيذانٌ بأنّه تعالى لم يُمْهِلْهم بعد ذلك، ولم يكونوا في أمنٍ ودَعَةٍ، بل رُتّبت أسبابُ هلاكِهم، فتحوّلوا من حالٍ إلى حالٍ، إلى أنْ حلَّ بهم عذابُ الاستئصالِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: السَّنَةُ: العامُ القحطُ، وهو: الجَدْب، وأكثرُ ما تستعمل السَّنةُ في الحول الذي فيه الجدبُ، يقال: أَسْنَتَ القومُ: أصابتهم السّنةُ، وفُسِّرتِ اللّفظةُ في الآية الكريمة بالقُحوط، والأزمةِ، والجدبِ، حَتَّى ذهبت ثمارُهم، وذهب من أهل الْبَوادي مَواشيهمْ[2].

وهذا هو اللّفظُ الوحيدُ من بين مفردات التّركيب القرآنيةِ الذي يقضي السّياقُ بكونِه بمعنى القحط، والمقصودُ ضرورةً (زمنُ القحط)؛ لأنَّ القحطَ لا يتبيّنُ إلا بمرور فصلٍ منَ العام يُخلفُ فيه المطرُ والزرعُ معتادٌ حصولهُما، فكلمة سَنة معناها (زمنُ القحط)، ثم أُطلق لفظُ سَنةٍ عن قيد القحطِ واستُعمل بمعنى الزّمن ثمّ الحولِ، وسائرُ مفرداتِ التّركيب القرآنيةِ هي السّنةُ بمعنى الحولِ، وجمعِها[3].

2) ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: الثاء والميم والراء أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يتولّد عن شيءٍ متجمِّعًا، ثم يُحمَلُ عليه غيرُه استعارةً. فالثَّمَر معروفٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/263.
(2) ابن سيده، المحكم: (تسع)، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سنه).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سنه).

هو: حملُ الشّجر[1]، وهو: اسمٌ لكلِّ ما يُتَطعّمُ من أحمال الشّجر، وما ينعقدُ على أطراف الشّجرِ من حَمْله إذا بلغ يَنْعَه. ويقال لكلِّ نفعٍ يصدرُ عن شيءٍ: ثمرةٌ، وليس في القرآن منَ التّركيب إلا كلماتُ (ثمرة)، (ثَمَر) (ثمرات) (أثمُر)، وكلُّها يعني بها الحَبَّ الذي يُحصدُ منَ الزرع، أو الجَنْيَ الذي يُجْنَى من شجر الفاكهةِ ونحوِه[2].

3) ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: الذّال والكاف والراء أصلان، أحدُهما: ذَكَرْتُ الشّيءَ، خلافُ نسيتُه، فالذِّكْرُ: الحفظُ للشَّيْء وتَذكُّرُه، ثم حُملَ عليه الذِّكْرُ باللِّسان، أي: جَرْيُ الشّيءِ على لسانك[3]. والذِّكْرُ: ما ذكرْتَه بلسانك وأظهرْتَه. والذِّكْرُ: الصَّلاةُ لله تعالى، والدعاءُ، والثّناءُ، والذكْرُ قِراءَةُ الْقُرْآن، والذِّكْرُ: التّسبيحُ، والذِّكرُ: الشُّكْرُ، والذِّكْرُ: الطّاعَةُ[4]. ويأتي الذّكرُ بمعنى الوعظِ؛ لأنّه إذا تذكَّرَ قد يزدجرُ[5]، ويحتملُ لفظُ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ جُماعَ هذه المعاني.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

الشّروعُ في تفْصيلِ صُورةِ الهلاكِ الموعودِ، بدْءًا بالقحْطِ وقِلّةِ الثّمارِ

يخبرُ اللهُ بأنَّه اختبرَ أتباعَ فرعونَ وامتحنَهم بالجَدْب والقحْط والجوعِ سنةً بعد سنةٍ، وضيقِ المعيشة، وانتقاصِ الثّمرات، وإتلاف الغَلّاتِ بالآفات، لعلّهم يثوبون إلى رُشدِهم ويتذكّرون ضَعْفهم أمام قوّةِ خالقِهم، ويرجعون عمّا هم فيه منَ الكفرِ والعصيانِ؛ فإنَّ الشّدائدَ من شأنِها أن ترقِّقَ القلوبَ، وتُصفّيَ النّفوسَ، وتُلجئَ إلى الضّراعةِ لله، وتُرغِّبَ فيما عنده ﷻ منَ الخير، وتدعوَ إلى اليقظةِ والتّفكير ومحاسبةِ النّفس على الخطايا اتقاءً للبلايا.

والمرادُ بآل فرعونَ قومُه وأتباعُه، فهم مؤاخَذون بظلمِه

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثمر).
(2) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ثمر).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذكر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).

وطغيانِه؛ لأنّ قوّته الماليةَ والجنديةَ منهم، وقد خلقَهمُ اللّه أحرارًا وأكرمَهم بالعقل والفطرةِ التي تكرهُ الظّلمَ والطغيانَ بالغريزة، فكان حقًّا عليهم ألّا يَقبلوا استعبادَه لهم وجعْلَهم آلةً لطغيانِه، ولا سيما بعد بعثةِ موسى ﷺ ووصولِ دعوتِه إليهم، ورؤيتِهم لما أيَّده اللّه به منَ الآيات[1].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمة: إلى تنبيه الأمّة للنَّظر فيما يحيطُ بها من دلائلِ غضبِ اللّه؛ فإنَّ سَلْبَ النِّعمة للمُنعَم عليهم تنبيهٌ لهم على استحقاقِهم إعراضَ اللّه تعالى عنهم[2].

وفيها أنَّ على الإنسان أن يتذكّر أنّه الخليفةُ في الأرض، وأنّه غيرُ أصيلٍ في الكون حتى يظلّ العالمُ مستقيماً، لكنِ الذي يفسدُ العالَمَ أنّ الإنسان حينما تستجيبُ له أسبابُ الحياة، وسُننُها الكونيّةُ ويحرثُ ويبذرُ ويُطلعُ الزّرعَ، ويُشعلُ النار ويستخرجُ المياه منَ الآبار ينسى أن كلَّ ذلك أسبابٌ، ولا يتذكرُ المُسبِّبَ إلا حينما تمتنعُ عليه الأسبابُ؛ لأنّها مقوّماتُ الحياة، فإذا امتنعتْ مقوّماتُ الحياة يقول الإنسانُ: يا ربّ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ تصْديرِ الجُملةِ بالقسَمِ:

بـيـانُ حـالـةِ العِقابِ الإلهيّ، وإظـهـارُ خطَرِه بـالـقَـسَـمِ على حُصولِها

الواوُ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ﴾ استئنافيةٌ، واللّامُ للتّوكيد، و(قد) لتحقيقِ وقوعِ الفعلِ الماضي (أخذ) المُحقَّقِ وقوعُه بصيغتِه، وفي هذا المُفتتح شروعٌ في تفصيل مبادئِ الهلاك الموعودِ به، وإيذانٌ بأنّهم لم يُمهَلوا حتّى تحوّلوا من حالٍ إلى حالٍ، إلى أنْ حلَّ بهم عذابُ

(1) الخازن، لباب التّأويل: 2/239، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/357.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/64.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4313 - 4314.

الاستئصال، وتصديرُ الجملة بالقسَم لإظهار الاعتناءِ بمضمونِها[1]، وتأكيدِه، وتعظيمِ شأنه[2].

دَلالةُ (اللّام)، وضَميرِ التّعظيمِ:

ورسّختِ اللّام التّوكيديّةُ، و﴿وَلَقَدْ﴾ التّحقيقيّةُ، وإسنادُ فعلِ الأخذِ إلى ضمير التّعظيم، والتّفخيم (نا) هذه العنايةَ، والاهتمامَ، والتّعظيمَ.

قَـوّتِ المُؤكّـداتُ الـعِـنـايـةَ بـالمَـضـمُـونِ الـفـارقِ، في تـاريـخِ هـؤلاءِ القومِ المُفسدِين

سِرُّ التّعبير بالأخذِ على طريق المجازِ، أوِ الاستعارةِ:

الأخذ: هنا مجازٌ في القهرِ والغلبةِ، ويصحُّ أنْ يكون هنا مجازًا في الإصابة بالشّدائد؛ لأنّ حقيقةَ الأخذ: تناولُ الشّيء باليدِ، وتعدّدت إطلاقاتُه، فأُطلقَ كنايةً عنِ المُلك. وأُطلقَ استعارةً تصريحيّةً تبعيّةً للقهرِ والغلبةِ، وللإهلاكِ؛ إذ استعارَ الأخذَ للابتلاء[3].

الأخـذُ قَـهـرٌ وغلبةٌ وإصابةٌ بالشّدائدِ

دَلالةُ التّصريحِ باسمِ فرعونَ، وإضافةِ آلِه إليه:

إنَّ موردَ الذّكرِ في مواطن الخيبةِ، والخُسرانِ، والعقوبةِ إذلالٌ ومهانةٌ يناسبُه التّصريحُ بالمغلوبِ المقهورِ المُتألّهِ على اللّه تعالى بكبْره. والمرادُ بـ ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أتباعُه، وإضافةُ الآل إليه وهو لا يضافُ إلّا إلى الأشراف والكبراءِ؛ لِما فيه منَ الشّرف الدّنيويِّ الظّاهرِ وإن كان في نفس الأمرِ وضيعًا[4].

وَجْهُ التّعريض، المُفيدُ للمَهانةِ

قَصْدِيّةُ جَمْعِ لفْظِ ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ في السّياقِ:

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ جمعُ سَنةٍ بمعنى الجَدْبِ لا بمعنى الزّمن المقدَّر منَ الدّهر؛ لأنَّ السّنةَ في كلامِ العربِ إذا عُرّفت باللّام يُراد بها سَنةُ الجَدْبِ، والقحْطِ، فتكونُ حينئذٍ علمَ جنسٍ بالغَلَبة، ومن ثمَّ اشتقّوا منها: أسْنَتَ القومُ، إذا أصابهم الجَدْبُ والقَحْطُ، وجاءت على صيغة الجمعِ بمعنى: القُحوطِ باعتبار كثرةِ مواقعِها، أي: أصابَهم

إصـابـتُـهـم بـالـقَـحْـطِ، وفي كـلِّ بُـلدانِـهـم، دليلُ غضَبِ الله عليهم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/263، والآلوسي، روح المعاني: 9/31.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/74.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/63.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/31.

القَحْطُ في جميع الأَرَضين والبلدان، فالمعنى: ولقد أخذناهم بالقُحوطِ العامّةِ في كلِّ أرضٍ[1].

نُكتةُ العُدولُ عن معنَى ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ الحقيقيِّ على طريقِ الاستعارةِ:

الأخذُ بالسّنينَ جَذْبٌ مُطْبِقٌ، وجَفافٌ مُزْهِقٌ، لمن حاربَ الله ورُسُلَه الكرامَ

وهو بذا استعارةٌ تصريحيّةٌ عُدلَ بها عنِ المعنى الحقيقيِّ للسّنة، وهو الحولُ، إلى الجدْب، والقحطِ[2]. وأكثرُ ما تُستعملُ في مقام العددِ والإحصاءِ[3].

سِرُّ تَنكيرِ لفْظِ ﴿وَنَقْصٍ﴾، وقطْعِه عنِ الإضافةِ:

تَحْقيقُ معنَى التّكثيرِ، للدّلالةِ على شِدَّةِ الضِّيقِ في كلِّ حالٍ

وقولُه تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ومعنى نقْصِ الثّمرات: قلّةُ إنتاجها قلةً غيرَ معتادةٍ لهم، أو هو نصٌّ على شدَّة الضّيق في كلّ حال، فتنوينُ ﴿وَنَقْصٍ﴾ للتّكثيرِ ولذلك نُكِّر، ولم يُضف إلى ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ لئلا تفوتَ الدّلالةُ على الكثرةِ، فالقحطُ ينتابُ المزارعَ والحقولَ، ونقصُ الثّمرات ينتابُ الجنّاتِ[4].

نُكتةُ التّعْبير بصِيغةِ التّرجّي، وفعْلِ المُطاوعةِ:

قَطعُ عُذرِ عدَمِ التّذكُّرِ، وترغيبٌ بالعَزمِ عليه

و(لعلّ) للرّجاء، أي: مرجوٌّ تذكّرُهم؛ لأنّ المصائبَ والأضرارَ المقارنةَ هي لتذكيرِ موسى إياهم بربّهم، وتسريحِ فرعونَ عبيدَه، أمّا الله تعالى فهو يعلمُ أنّهم لا يتذكّرون، ولكنّه أراد الإملاءَ لهم، وقطعَ عُذرِهم[5]، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الله تعالى إنّما يقضي بالجَدْبِ، ونقصِ الثّمرات، لُطفًا منه تعالى في رجوع الخلْقِ عنِ المعصيةِ[6]. وجاء بالفعل ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ بصيغة المطاوعةِ؛ للدّلالة على طلبِ حصولِ الفعل بقوّةٍ، والتّرغيبِ بالعزم عليه؛ لعُسْر تحقّقِه من جهة، ولعظيم آثارِه من جهة أخرى، فهي مفتاحُ أنوار

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/31، و15/182، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/63.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/16.
(3) رضا، تفسير المنّار: 9/76.
(4) رضا، تفسير المنار: 9/76، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/64.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/64.
(6) الخلوتّي، روح البيان: 7/46.

الهدايةِ. وجملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ في موضع التّعليل لجملةِ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ﴾ فلذلك فُصلتْ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الآلُ)، و(الأهلُ):

(الآلُ) خاصّةُ الرّجُلِ من جهةِ القرابةِ، و(الأهلُ) خاصّتُه من جهةِ النّسبِ

(الأهل) يكونُ من جهة النّسب، والاختصاص، فمن جهة النّسبِ، قولُك: أهلُ الرجل، لقرابته الأدْنَيْنَ. ومن جهة الاختصاص، قولُك: أهلُ البصرة، وأهلُ العلم. فأهل الرجل: من يجمعُه وإياهم نسبٌ أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ، وأهلُ الرّجلِ في الأصل: من يجمعُه وإياهم مسكنٌ واحد، ثم تُجوِّز به، فقيل: أهلُ الرجل لمن يجمعُه وإياهم نسبٌ، وتُعورف في أسرة النّبي ﷺ مطلقًا إذا قيل: أهلُ البيت. و(الآل) خاصّةُ الرّجل من جهة القرابة، أوِ الصّحبة تقولُ: آلُ الرجل لأهله، وأصحابِه. ولا تقولُ: آلُ البصرة، وآلُ العلم. وقالوا (آل فرعون) أتباعُه وكذلك (آل لوط). وإذا صَغّرتِ العربُ (الآل) قالت: أهلُ. فيدلُّ على أنّ أصلَ (الآلِ) (الأهلُ). وقال بعضُهم: (الآلُ) عيدانُ الخيمة وأعمدتُها، وآل الرّجل مُشبَّهون بذلك؛ لأنَّهم معتمدُه[2].

فـ(آل الرّجل) أهلُ بيتِه، وأقاربُه الذين يُضافون إلى اسمه، ويؤولُ أمرُه إليهم، وهو لا يضافُ إلا إلى أعلامِ شُرفاءِ قومِهم، وكبرائِهم كالأنبياء، والملوكِ، والرّؤساءِ، ثمّ أُطلق على أهل الاختصاصِ بهم، أو جميعِ أتباعهم، ومن هنا قال بعضُ العلماء: إنّ آلّ النبي ﷺ يُطلق على جميع أتباعِه، وإنَّ هذا هو المرادُ بالصّلاة على آل النّبيّ في التّشهد وغيرِه. وخُصَّ بالإضافةِ إلى أعلامِ النّاطقين دون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/63.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 281، والرّاغب، المفردات: (أهل).

النّكراتِ، ودونَ الأزمنة، والأمكنةِ. يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رَجُلٍ، ولا آلُ زمان كذا، أو موضعِ كذا، ولا يقال: آل الخياط، بل يضاف إلى الأشرفِ الأفضلِ، يقال: آل الله وآل السّلطان، والأهلُ يضافُ إلى الكلّ، يقال: أهلُ الله وأهلُ الخياط، كما يقال: أهلُ زمنِ كذا وبلدِ كذا[1].

ولذلك كان اختيارُ لفظِ ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ ليشمل ملأَهُ، وشرفاءَ قومه، وكبراءَهم، وجميعَ أتباعِه ومَنْ آلَ إليه في دينٍ، أو مذهبٍ، أو نسبٍ؛ لأنّ الآل لا تُطلقُ إلّا على الأتباع كلِّهم، مع إيمانِهم بالمتبوع، واتّباعِ منهجه، وشريعتِه، وسيرتِه[2].

(1) الرّاغب، المفردات: (آل)، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/74 - 75.
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/140.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»